«شرح الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة»

قال الناظم رحمه الله:

الحَمْـــدُ للهِ لا يُحْصَـــىٰ لَـــهُ عَـــدَدُ ... ولا يُحِـــيْطُ بِـــهِ الأَقْـــلامُ والمُـــدَدُ

حَمْـــدَاً لِرَبِّـــي كَثيـــراً دَائمـــاً أَبَـــدَاً ... فِي السِّـــرِّ والْجَهْـــرِ فِي الـــدَّارَيْنِ مُسْـــتَرَدُ

مِـــلْءَ السَّـــمواتِ وَالأَرْضِـــيْنَ أَجْمَعِهَـــا ... وَمِـــلْءَ مَـــا شَـــاءَ بَعْـــدُ الْوَاحِـــدُ الصَّـــمَدُ

ثُـــمَّ الصَّـــلاةُ عَلـــىٰ خَيْـــرِ الأَنَـــامِ رَسُـــولِ ... اللهِ أَحْمَـــدَ مَـــعْ صَـــحْبٍ بِـــهِ سَـــعِدوا

وأَهْـــلِ بَيْـــتِ النَّبِـــيْ وَالآلِ قاطِبَـــةً ... وَالتَّـــابعينَ الأُلَـــىٰ للـــدِّيْنِ هُـــمْ عَضُـــدُ

وَالرُّسْـــلِ أجْمَعِهِـــمْ وَالتَّـــابِعِيْنَ لَهُـــمْ ... مِـــنْ دُوْنِ أَنْ يَعْـــدِلوا عَمَّـــا إليـــهِ هُـــدُوا

أَزْكَـــىٰ صَـــلاةٍ مَـــعَ التّسْـــلِيْمِ دَائِمَـــةً ... مَـــا إِنْ لَهَـــا أَبَـــدَاً حَـــدٌّ وَلاَ أَمَـــدُ

وَبَعْـــدُ ذِي فِي أُصُـــوْلِ الـــدِّيْنِ (جَـــوهَرةٌ ... فَرِيْـــدَةٌ) بِسَـــنَا التَّوحِيْـــدِ تَتَّقِـــدُ

بِشَـــرْحِ كُـــلِّ عُـــرَىٰ الإِسْـــلامِ كَافِلَـــةٌ ... وَنَقْـــضِ كُـــلِّ الـــذي أَعْـــداؤهُ عَقَـــدُوا

وَمَـــا أُبَـــرِّئُ نَفْسِـــي مِـــنْ لَوازِمِهَـــا ... وَأَحْمَـــدُ اللهَ مِنْـــهُ الْعَـــوْنُ والرَّشَـــدُ

وَاللهَ أَسْـــأَلُ مِنْـــهُ رَحْمَـــةً وَهُـــدَىٰ ... فَضْـــلاً وَمَـــا لِـــيَّ إِلاَّ اللهُ مُسْتَنَـــدُ

هذه كما سماها رحمه الله تعالىٰ خطبة العقيدة، وهو الاستهلال الذي بدأ به بين يدي هذه العقيدة المباركة، مثنيا علىٰ الله حامدا مصليا ومسلما علىٰ رسول الله صلىٰ الله عيه وسلم، داعيا ربه جلا وعلا بالعون والرشد والتوفيق والرحمة، مستمدا منه وحده تبارك وتعالىٰ ذلك.

قال:

الحَمْـــدُ للهِ لا يُحْصَـــىٰ لَـــهُ عَـــدَدُ ... ولا يُحِـــيْطُ بِـــهِ الأَقْـــلامُ والمُـــدَدُ

«**الأَقْلامُ**» معروفة، و«**المُدَدُ**» جمع مداد، وحمد الله لا يحصىٰ له عدد؛ لأن حمد الله ﷻ يحمد علىٰ نعمه، ونعمه لا تعد ولا تحصىٰ ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا**﴾ [إبراهيم:٣٤]، ويحمد جلا وعلا علىٰ

أسمائه الحسنىٰ وصفاته العظيمة وأفعاله الجليلة ﷻ، وهو جلا وعلا لم يزل ولا يزال فعالاً لما يريد، يعطي وينعم ويكرم ويتفضل ويمن جلا وعلا.

« ولا يُحِيطُ بِهِ الأَقْلامُ والمُدَدُ » [قال تعالىٰ]: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ [الكهف:109].

« حَمْدَاً لِرَبِّي كَثيراً دَائماً أَبَدَاً »، أي أحمده جلا وعلا حمدا كثيرا دائما أبدا.

« في السِّرِّ والْجَهْرِ في الدَّارَيْنِ مُسْتَرَدُ »، يحمده جلا وعلا هذا الحمد في السر والعلن، « في الدَّارَيْنِ »؛ يعني في الدنيا والآخرة، وأهل الجنة يدخلون الجنة حادين لله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾ [الأعراف:43] فهم يحمدون الله هذا الحمد، و« مُسْتَرَدُ» أي مستمر ودائم غير منقطع.

مِــلْءَ السَّـــمواتِ وَالأَرْضِـــيْنَ أَجْمَعِهَــا ... وَمِــلْءَ مَــا شَــاءَ بَعْــدُ الْوَاحِــدُ الصَّــمَدُ

انتزع الناظم هذا مما ورد عن النبي ﷺ حمد الله به بعد الرفع من الركوع: «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ».

ثُــمَّ الصَّــلاةُ عَلــىٰ خَيْــرِ الأَنَــامِ رَسُــولِ ... اللهِ أَحْمَــدَ مَــعْ صَــحْبٍ بِــهِ سَــعِدوا

ثنَّىٰ بالصلاة والتسليم علىٰ رسول الله ﷺ «خَيْرِ الأَنَامِ» أي أفضلهم ﷺ، «رَسُولِ اللهِ» أي من بعثه الله ﷻ رسولا للعالمين، «أَحْمَدَ» وهذا اسم من أسمائه صلوات الله وسلامه عليه، « مَعْ صَحْبٍ بِهِ سَعِدوا»، سعدوا بصحبته عليه الصلاة والسلام، بل إن السعادة لا تكون إلا بذلك، بصحبته عليه الصلاة والسلام، الاتباع في حياته، وبصحبة سنته وهديه صلوات الله وسلامه عليه بعد مماته. فهذا هو باب السعادة الذي لا باب لها غيره، كما قال جلا وعلا: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًىٰ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ﴾ [البقرة:123] أي يسعد.

«وأَهْلِ بَيْتِ النَّبِيْ وَالآلِ قاطِبَةً»؛ «وأَهْلِ بَيْتِ النَّبِيْ» لعل مراده أزواج النبي عليه الصلاة والسلام، لعطفه لهم علىٰ «وَالآلِ قاطِبَةً»، والآل هم قرابة النبي عليه الصلاة والسلام المؤمنون به.

وأَهْــلِ بَيْــتِ النَّبِــيْ وَالآلِ قاطِبَــةً ... وَالتَّــابعينَ الأُلَــىٰ للــدِّيْنِ هُــمْ عَضُــدُ

التابعين أي التابعين للصحابة، والمراد التابعين لهم بإحسان، قال الله تعالىٰ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة:100].

«وَالتَّابعينَ الأُلَىٰ للدِّيْنِ هُمْ عَضُدُ»، الذي أصبح شأنهم لدين الله تبارك وتعالىٰ هو النصرة والمعاضدة، والعمل علىٰ نشر دين الله تبارك وتعالىٰ والذب عنه، فنهجوا نهج الصحابة، أخذوا دين الله جلا وعلا وتلقوه من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام فحفظوه وحافظوا عليه، وعملوا به، وبلغوه للأمة كما سمعوه.

«وَالرُّسْلِ أجْمَعِهِمْ» عاد بالصلاة والسلام علىٰ جميع المرسلين ﴿وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:181] علىٰ الرسل أجمعهم، وعلىٰ أتباع جمع المرسلين.

«وَالرُّسْلِ أجْمَعِهِمْ وَالتَّابِعِيْنَ لَهُمْ» فبعد أن صلىٰ علىٰ النبي ﷺ وصحبه وآله، صلىٰ علىٰ جميع النبيين وأتباعهم.

قال: والتابعين لهم.

.... وَالتَّابِعِيْنَ لَهُمْ ... مِنْ دُوْنِ أَنْ يَعْدِلوا عَمَّا إليهِ هُدُوا

أي التابعون الذين لزموا الاتباع، ولم يعدِلوا عنه إلىٰ البدع والضلالات وما لم ينزل به الله تبارك وتعالىٰ سلطانا، ولم «يَعْدِلوا عَمَّا إليهِ هُدُوا»، أي لم يغيروا ولم يبدلوا، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب:23].

«أَزْكَىٰ صَلاةٍ مَعَ التّسْليْمِ دَائِمَةً» جمع هنا بين الصلاة والتسليم

أزكىٰ صلاة ...ولا أمد.

أَزْكَىٰ صَلاةٍ مَعَ التّسْليْمِ دَائِمَةً ... مَا إنْ لَهَا أَبَدَاً حَدٌّ وَلاَ أَمَدُ

أي صلاةً وسلاماً دائمين مستمرين لا حد لهما ولا أمد.

ثم شرع في بيان المقصود، قال:

«وَبَعْدُ ذِي فِي أُصُوْلِ الدِّيْنِ جَوهَرَةٌ» ذي: الاشارة إلىٰ هذه المنظومة. « فِي أُصُوْلِ الدِّيْنِ» أي في عقائد الدين وأصوله الكبار. «جَوهَرَةٌ فَرِيْدَةٌ» وهذا اسم المنظومة جوهرة فريدة. «بِسَنَا التَّوحِيْدِ تَتَّقِدُ» أي بضياء

التوحيد ونوره، «تَتَّقِدُ» أي تضيء، فهي جوهرة فريدة مضيئة بالتوحيد والاعتقاد الحق المستمد من الكتاب والسنة.

«**بِشَرْحِ كُلِّ عُرَىٰ الإِسْلامِ كَافِلَةٌ**»؛ «**عُرَىٰ**» جمع عروة، وهو الذي يُتمسك به ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:256]. «**بِشَرْحِ**» أي ببيان وإيضاح «**كُلِّ عُرَىٰ الإِسْلامِ كَافِلَةٌ**»، أي جميع أصول الدين العِظام التي يجب الاستمساك بها والمحافظ عليها، ليستقيم للإنسان دينه، ولتقبل منه طاعته وعبادته.

بِشَـــرْحِ كُـــلِّ عُـــرَىٰ الإِسْـــلامِ كَافِلَـــةٌ	**وَنَقْـــضِ كُـــلِّ الـــذي أَعْـــداؤهُ عَقَـــدُوا**

أي أنه رحمه الله تعالىٰ جمع في هذا النظم بين التأصيل والرد، ونحن نعلم أن ما ألفه أئمة السلف في الاعتقاد منه ما هو مؤلف في تأصيل المعتقد وتقريره، ومنه ما هو مؤلف في نقض ما يخالفه وإبطاله، ومنها ما يجمع بين الأمرين، وهذا النظم جمع فيه رحمه الله تعالىٰ بين الأمرين، بين التأصيل والرد؛ تأصيل المعتقد الحق كما أشار إلىٰ ذلك في الشطر الأول من البيت: «**بِشَرْحِ كُلِّ عُرَىٰ الإِسْلامِ كَافِلَةٌ**»، والرد كما أشار إلىٰ ذلك في الشطر الثاني بقوله: «**وَنَقْضِ كُلِّ الذي أَعْداؤهُ عَقَدُوا**».

قال: «**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي مِنْ لَوازِمِهَا**» أي لوازم هذه المنظومة، لأن ناظمها بشر، وعرضة للخطأ ولزلة القلم، ولهفوة ونحو ذلك، فيقول:

وَمَـــا أُبَـــرِّئُ نَفْسِـــي مِـــنْ لَوازِمِهَـــا	**وَأَحْمَـــدُ اللهَ مِنْـــهُ الْعَـــوْنُ والرَّشَـــدُ**

«**وَأَحْمَدُ اللهَ مِنْهُ الْعَوْنُ**» أي يُسْتَمَد العون والرشد. «**الْعَوْنُ**» علىٰ كل خير وعلىٰ تحقيق كل مطلب، و «**الرَّشَدُ**» بالهداية إلىٰ سبيل الرشاد.

«**وَاللهَ أَسْأَلُ مِنْهُ رَحْمَةً وَهُدَىٰ**» أي أسأله أن يرحمني وأن يَمُنَّ علي بالهداية إلىٰ الصراط المستقيم. «**فَضْلاً**» أي تفضلا منه ﷻ وإنعاما ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾

«**وَمَا لِيَّ إِلاَّ اللهُ مُسْتَنَدُ**» ليس لي الله أستند إليه وأرجع إليه وأطلب العون منه، فلا ملجأ و لا منجا منه إلا إليه.

قال رحمه الله:

مُقَدِّمَةٌ فِي بَرَاءَةِ الْمُتَّبِعِينَ مِنْ جَرَاءَةِ الْمُبْتَدِعِينَ وَافْتِرَاءَاتِ الْمُبْتَدِعِينَ:

إِنِّـي بَـرَاءٌ مِـنَ الأَهْـوا وَمَـا وَلَـدَتْ ... وَوَالِـدِيْها الحَيَـارىٰ سَـاءَ مَـا وَلَـدُوا

وَاللهِ لَسْـتُ بِجَهْمِـيٍّ أَخَـا جَـدَلٍ ... يَقُـوْلُ فِي اللهِ قَـوْلاً غَيْـرَ مَـا يَـرِدُ

يُكَـذِّبُونَ بِأَسْـمَاءِ الإِلٰـهِ وَأَوْصَـافٍ ... لَـهُ بَـلْ لِـذاتِ اللهِ قَـدْ جَحَـدُوا

كَـلاّ وَلسْـتُ لِرَبِّـي مِـنْ مُشَـبِّهَة ... إِذْ مَـنْ يُشَـبِّهُهُ مَعبُـوْدُهُ جَسَـدُ

وَلاَ بِمُعْتَزِلِـيٍّ أَوْ أَخَـا جَبـرٍ ... فِي السَّـيئاتِ عَلَـىٰ الأَقْـدَارِ يَنْتَقِـدُ

كَـلاّ وَلَسْـتُ بِشـيْعِيٍّ أَخَـا دَغَـلٍ ... فِي قَلْبِـهِ لِصِـحَابِ الْمُصْـطَفَىٰ حُقَـدُ

كَـلاّ وَلاَ نَاصِـبيٍّ ضِـدَّ ذَلِـكَ بَـلْ ... حُـبُّ الصَّـحَابَةِ ثُـمَّ الآلِ نَعْتَقِـدُ

وَمَـا أَرِسْـطُو وَلاَ الطُّوْسِـيْ أَئِمَّتَنَـا ... وَلاَ ابْـنُ سَـبْعِيْنَ ذَاكَ الْكَـاذِبُ الفَنِـدُ

وَلاَ ابْـنُ سِـيْنَا وَفَارَابِيْـهِ قُـدْوَتَنَا ... وَلاَ الَّـذِي لِفُصُـوصِ الشَّـرِّ يَسْـتَنِدُ

مُؤَسِّـسُ الزَّيْـغِ وَالإِلْحَـادِ حَيْـثُ يَـرَىٰ ... كُـلَّ الْخَلائـقِ بِالْبَـارِي قَـدِ اتّحـدوا

مَعْبُـودُهُ كُـلُّ شَـيءٍ فِي الْوُجُـوْدِ بَـدَا ... الكَلْـبُ وَالقِـرْدُ وَالخِنْزِيْـرُ وَالأَسَـدُ

وَلاَ الطَّرَائِـقُ وَالأَهْـوَاءُ وَالْبِـدعُ الـ ... ـضُّلاَّلُ مِمَّـنْ عَلَـىٰ الـوَحْيَيْنِ يَنْتَقِـدُ

وَلاَ نُحَكِّـمُ فِي الـنَّصِّ الْعُقُـوْلَ وَلاَ ... نَتَـائِجَ الْمَنْطِـقِ الْمحْـوْقِ نَعْتَمِـدُ

قال رحمه الله تعالىٰ: «**مُقَدِّمَةٌ فِي بَرَاءَةِ الْمُتَّبِعِينَ**» أي لدين الله وشرعه وهدي نبيه ﷺ اللازمين لنهج الاستقامة والطريق القويم وصراط الله المستقيم، المجانبين للأهواء والبدع والمحدثات.

براءتهم من «**جَرَاءَةِ الْمُبْتَدِعِينَ**» جمع مبدع، وأصحاب البدع عندهم جرأة علىٰ الإحداث والقول علىٰ الله بلا علم والخوض في دينه بلا فهم، من جراءة ، «**مِنْ جَرَاءَةِ الْمُبْتَدِعِينَ وَافْتِرَاءَاتِ الْمُبْتَدِعِينَ**» افتراءاتهم أي كذبهم علىٰ الله وعلىٰ رسوله ﷺ وعلىٰ شرعه ودينه، فأهل السنة رحمهم الله يتبرؤون من ذلك، يتبرؤون من هذه الجرأة ومن الافتراءات.

ثم أعلن رحمه الله تعالىٰ هذه البراءة، بدأها بهذا البيت الرائع في إعلان البراءة، وهو من أحسن وأجود ما نُظِم في جمع باب البراءة من الباطل كله، ومن روائع نظم الشيخ رحمه الله تعالىٰ، قال:

إِنِّــي بَــرَاءٌ مِــنَ الأَهْــوا وَمَــا وَلَــدَتْ   وَوَالــدِيْها الحَيَــارىٰ سَــاءَ مَــا وَلَــدُوا

هذه براءة عظيمة جامعة من البدع والأهواء، ومن أربابها، ومحدثيها ومنشئيها، «**إِنِّي بَرَاءٌ مِنَ الأَهْوا وَمَا وَلَدَتْ**» الأهواء أي البدع المحدثة، التي ما أنزل الله بها من سلطان، «**وَمَا وَلَدَتْ**» لأن البدع كما قال أهل العلم قديما تتوالد، فإذا أُحْدِثت بدعة ولدت بدعا، ونشأ عنها بدع، فالبدع تتوالد، وطريقة التوالد في البدع تكون إما ببدع متفرعة عن هذه البدعة، أو تكون بدعا نشأت للرد علىٰ هذه البدعة، فهذان طريقان في التوالد للبدع، عندما توجد البدعة، قد يتولد منها بدع متفرعة عنها، وقد تتسبب في تولد بدع ترد علىٰ هذه البدع، وهو ما يسمىٰ بالرد علىٰ بدعة ببدعة، والرد علىٰ الباطل بباطل، فالشيخ رحمه الله يتبرأ من ذلك كله، يتبرأ من البدع ويتبرأ من كل ما تولد عن البدع، سواء مما تولد عنها ليعضدها، أو تولد عنها لينقضها بالباطل «**إِنِّي بَرَاءٌ مِنَ الأَهْوا وَمَا وَلَدَتْ**».

«**وَوَالِدِيْها**» وهذا فيه البراءة من محدثي البدع ومنشئيها ومخترعيها، «**وَوَالِدِيْها الحَيَارىٰ**» وهذه الصفة تجمع، فصاحب كل هو في باطل وحيرة وفي أمر مريج.

ثم ختم بقوله: «**سَاءَ مَا وَلَدُوا**» تقريعا لهؤلاء وتوبيخا وتشنيعا لفعالهم، «**سَاءَ مَا وَلَدُوا**» أي ساء فعال هؤلاء، وفي القرآن عدد من الآيات تُختم بمثل هذا: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت:4] ونحو ذلك للتقريع والتوبيخ والتشنيع.

ثم يقول رحمه الله مقسما بالله العظيم: «**وَاللهِ لَسْتُ بِجَهْمِيٍّ أَخَا جَدَلٍ**»، «**لَسْتُ بِجَهْمِيٍّ**» أي لست في اعتقادي وديانتي بجهمي، أي علىٰ طريقة الجهمية، أتباع الجهم بن صفوان، القائم دينه علىٰ إنكار الصفات......

ملحوظة:

المادة عندي مكتملة ولمن أراد –من دور النشر والطباعة– الحصول عليها

- الصفحة على الفايسبوك:

www.facebook.com/Med.Abourri

- البريد الإلكتروني: *abourri@gmail.com*